

# نظرية الاثنوميتودولوجية

## تمهيد:

ترجع الجذور الفكرية لمنظور الاثنوميتودولوجي إلى كل من التفاعلية الرمزية و symbolicinteractionism و الفلسفة الظاهرانية (فلسفة الظواهر) phenomenology ، وعلى الرغم من تأثر هذا المنظور بأراء هاتين المدرستين، إلا أنه اتخذ له وجهة نظر مختلفة عن الواقع والعالم الاجتماعي، مما أدى ظهوره باعتباره أحد البدائل النظرية المعاصرة في علم الاجتماع الغربي. (طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد، د ت، ص143)

## 1- الجذور الفكرية للنظرية الاثنوميتودولوجية:

ارتبطت الاثنوميتودولوجية بصوره خاصة بالنظرية الفينومينولوجية، ويرى كثير من العلماء أنها مدخلا نظريا ومنهجيا جديدا للفينومينولوجية وهذا ما ظهر في تصورات هلموت فاجنر، الذي يعتبر أن الاثنوميتودولوجية ما هي إلا محاولة إعادة تحديث الأفكار والمسلّمات التي قامت عليها الفينومينولوجية، وبالرغم من أن تأسيس الاثنوميتودولوجية في أواخر الستينيات من القرن الماضي، لا يزال تصنف كمدخل أو منظور سوسيولوجي حديث ويخفى عليها مفهوم النظرية نظرا للأهمية الكبرى التي يعطيها لها علماء الاجتماع، وذلك في تحليلاتهم ذات الطابع النظري في السنوات الأخيرة.

كما يرى كثير من المحللين لتطور النظرية السوسيولوجية من أمثال والترولاس بأن نشأتها ترتبط بتحليلات كل من التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية، لما أحدثاه من تطور في مجال النظرية السوسيولوجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نظرا لحدوث تمرد كبير على النظريات السوسيولوجية الكبرى لا سيما البنائية الوظيفية والماركسية، وإن كانت النشأة الأولى للأثنوميتودولوجية ترتبط بالفكر الألماني بصوره خاصة، تلك الأفكار التي هاجرت من ألمانيا أثناء حكم النازية. (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 243)

## 2- تعريف النظرية الاثنوميتودولوجية:

يتكون مصطلح Ethnomethodology من مقطعين: المقطع الأول الكلمة اليونانية «ethno» وتعني الشعب أو الناس أو القبيلة أو السلالة والمقطع الثاني «Methodology» وتعني المنهج أو الطريقة، ومن ثم فهي تعني دراسة المناهج الشعبية أو الطرق التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية، مما يشير إلى أن المنظور الاثنوميتودولوجي يهتم أساسا بتطوير مناهج للبحث. (طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد، د ت، ص 145)

أول من دعى إلى دراسة مناشط الحياة اليومية للأفراد هو هارولد كار فينكل عام 1940 ثم سماها بشكل رسمي بمصطلح ethnomethodology ، وكان ذلك عام 1967 ثم شاع صيتها بين علماء الاجتماع وكان من متبنيها الناشطين دان زيرمان الذي كتب فيها والسن وسند مناهجها وطروحاتها عام 1978 وتبعه طول اتكينسون الذي لمع نجمه عام 1988 كداعية لهذه النظرية. (معن خليل عمر، 2005، ص 297)

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد اتفاق حول الترجمة العربية لهذا المصطلح وقد يرجع ذلك إلى صعوبة ترجمته بعيدا عن السياق أو الإطار الفينومينولوجي وبعيدا عن الظروف والمواقف التي صاغ فيها جارفنكل هذا المصطلح، لذا فقد يكون له من المعاني ما يفوق المعنى الذي تشير إليه الترجمة اللغوية. (طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد، د ت، ص 146)

### 3- الافتراضات الساسية للانثوميتودولوجية:

- منهجيه الانثوميتودولوجية عند جارفنكل:

قام جارفنكل بمحاولة جادة لخلق عملية إنتاجية مستقلة للمفاهيم النظرية والمنهجية لموضوع علم الاجتماع من أجل توفير الأساس العلمي الذي لا يمكن للبحث الامبريقي الأداة والاستمرارية بدونها.

إطار البحث هذا -Frame work- يرتكز على مفاهيم يحددها جارفنكل في التوبيبات التالية:

- ✓ الاشتقاقية Indexicality: وهو خصوصية طبيعية الفعل اليومي، متنوعة حسب المناسبة، العمل اليومي هو Indexical بمعنى أنه مشتق من إتقان التنظيم الاجتماعي وموجه إليه.
- ✓ التأمل الانعكاسي Reflexivity : والمقصود به الكيفية التي يتعامل بها أعضاء المجتمع مع الواقع facturalorder
- ✓ طرق الأعضاء Membersmethod's: أي الوسائل المتعارف عليها من قبل الأعضاء داخل نسق التعامل الاجتماعي. (فاديه عمر الجولاني، 2009، ص23)
- كما طرح جارفينكل مجموعة افتراضات أو مسلمات عامه حول الاتنوميولوجية وهي:
- ✓ افتراض وجود نظام أخلاقي وهو البناء الاجتماعي وما فيه من قيم ومعايير ويعتبر أحد الموضوعات الرئيسية لعلم الاجتماع.
- ✓ ضرورة قبول جميع أعضاء المجتمع لأنهم المشاركين في أنشطته المختلفة من خلال حياتهم اليومية.
- ✓ ترتبط جميع التنظيمات في المجتمع بالنظام الأخلاقي الذي يعتبر الأساس التفسيري للحقيقة الاجتماعية.
- ✓ ضرورة توجيه الأفراد سلوكهم نحو متطلبات النظام الأخلاقي حتى يمكن فهم حصيلة أنشطتهم وبيبر تبريرا عقلانيا بواسطتهم أيضا.
- ✓ تعتبر عملية التفسير العقلاني مرتبطة بمجال فهم السلوك البشري وبالتالي فكل بناء اجتماعي قادر على تنظيم ذاته من خلال المواقف الاجتماعية التي يضيف عليها الأعضاء الطابع العقلاني.
- ✓ يتميز كل من التنظيم الاجتماعي والأخلاقي بالتغير المستمر خاصة أن كل منهما إنما يتحقق من خلال عمليات التفاعل الديناميكية.
- ✓ تعتبر العملية التنظيمية جوهر الحقيقة الاجتماعية، كما تم توضيح ذلك بواسطة علم الاجتماع التقليدي والمعاصر.
- ✓ عملية التعقل للأفعال والمواقف تتكون من مجموعة من العناصر المتميزة والتصنيف والمقارنة والدقة، مع البحث عن البدائل وتحليل النتائج وغير ذلك من ميكانيزمات يمكن

من خلالها فهم عملية العقلانية بصورة عامة كما تحدث في النشاط اليومي أو الحياتي الاجتماعي. (عبد الله محمد عبد الرحمن 2006 ص 249)

#### 4- تقييم النظرية الاثنوميتودولوجية:

لقد أحدثت النظرية الاثنوميتودولوجية تطورا كبيرا في مجال النظرية السوسولوجية المعاصرة والدراسات الامبريقية، وبالتالي تطوير علم الاجتماع التقليدي وجعله علما تطبيقيا AppliedSociology.

ومن ناحية أخرى أن جذورها الفكرية جاءت نتيجة لسببين رئيسيين هما:- الأزمات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية التي اجتاحت العالم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتفاقت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي (العشرين)، و أزمة العلم بالأخص العلوم الاجتماعية وعمق المناهج البحثية والتصورات النظرية.

وعلى الرغم مما ساهمت به الاثنوميتودولوجية إلا أنها واجهت العديد من الانتقادات تمثلت فيما يلي:

✓ ركزت مثل الفينومينولوجية على ظواهر وقضايا صغيرة واعتمدت على مستويات تحليل سوسولوجي صغرى MicroSociologyAnalysis.

✓ انتقدت الاثنوميتودولوجية علم الاجتماع التقليدي بشده سواء على مستوى المفاهيم أو أساليب البحث لاعتماده على البيانات والمداخل الكمية فقط دون الكيفية، ومع ذلك لم تستطيع وضع مقاييس بحثية خاصة بها جديدة كما جاءت معظم تصوراتها وتحليلاتها غير واضحة وغير دقيقة.

✓ جاءت أفكار الميتودولوجية منقسمة بين تيارين أساسيين أولهما ركز على دراسة الموقف Situation، والثاني ركز على دراسة اللغة language مما جعل معظم تحليلات هذه النظرية مرتبطة بفلسفة اللغة أكثر من ارتباطها بعلم الاجتماع.

✓ جعلت الاثنوميتودولوجية من علماء الاجتماع باحثين متأمرين ضد الواقع الاجتماعي مما جعلها تسعى إلى خلق عالم اجتماع آخر بالنسبة لها يهتم فعلا بدراسة النظام الاجتماعي الواقعي.

✓ جاء تحليلات جارفنكل غامضة في اعتمادها على وضع منهج إثنوميتودولوجي خاص به، مثل ما طرحه في التوقعات الكامنة وأساليب الفهرسة وخاصة الرؤى البشرية اليقينية... (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 268 - 271)